الدين و الدولة

بقلم الشيخ؛ حامد العلي

من حقائق الاسلام الكلية المتعلقة بالعقيدة الاسلامية تعلقا أساسيا أنه دين ودولة لا انفكاك بينهما، حتى لقد قرأت لبعض الكتاب المستشرقين الذين أسلموا ولا يحضرني الان اسمه أنه وبعد أن قرأ ما في القرآن والسنة عن هذه الحقيقة قال: (لا أقول؛ الاسلام دين ودولة، بل هو الدين وهو الدولة).

ومرجع هذا في الشريعة الى أن الله تعالى ربط نجاة الانسان في هذا الدين بالقيام بواجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك في سورة العصر (والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)، فلا نجاة من الخسران في الاخرة بالاكتفاء بالايمان والعمل الصالح، بل لابد من الامربالمعروف والنهي عن المنكر (تواصوا بالحق) ولا بد من الصبر على ذلك (وتواصوا بالصبر).

ولم يؤمرالمسلمون أمرا شرعيا دينيا أن يقيموا لهم الدولة الا لهذا الغرض، وصار هذا من اعظم واجبات الدين، كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: (يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا الا بها) [28/390].

والغرض من اقامة الدولة أصلا اقامة الدين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال شيخ الاسلام: (وجميع الولايات الاسلامية انما مقصودها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى، مثل نيابة السلطنة والصغرى مثل ولاية الشرطة، وولاية الحكم، أو ولاية المال وهي ولاية الدواوين المالية، وولاية الحسبة) [28/66].

والمقصود أن الدولة في الاسلام، وكل ولاياتها عملها - في الاصل - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا قامت وهذا - فقط - هو وجه مشروعية الدولة في الاسلام، وولي الامر يستمد مشروعيته من هذه الجهة فحسب، و (الامر) الذي اضيف (الولي) اليه في الشريعة هو هذا الامر

فحسب، أمر اقامة الدين بواسطة جهاز الدولـة وتسـخيرها للامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لكن ينبغي أن يعلم أن المعـروف يـدخل فيـه كـل مـا يحبه الله ويرضاه من الاعمال والاقوال ويتحقق بـه مصـالح العباد واصلاح أحوالهم، فيدخل فيه هذه الايام حـتى تنظيـم المرور في الطرق ونحو ذلك، والمنكـر يـدخل فيـه كـل مـا لايحبه الله ولايرضاه من الاقوال والاعمـال وكـل مـا يكـون أقرب الى فساد العباد واضطراب أحوالهم حتى الغش فـي الاسواق وتولية من لايستحق في ادارات الدولة وان كـانت الولاية صغيرة ونحو ذلك، والمقصود أن هذه الكلمة (الامـر بالمعروف والنهي عن المنكر) في الشرع عامة يدخل فيهـا ما شرع في الدين كله.

وهـذه الحقيقـة الثابتـة الـتي دل عليهـا القـرآن (لقـد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقـوم النـاس بالقسـط وأنزلنـا الحديـد)، ودلـت عليهـا السـنة المطهرة، هي السبيل الحق والصراط المستقيم فـي فهـم علاقة الدين بالدولة في الاسلام.

ويقابلها سبيلان فاسدتان.

قـال شـيخ الاسـلام ابـن تيميـة رحمـه اللـه: (وهاتـان السبيلان الفاسدتان - سـبيل مـن انتسـب الـى الـدين ولـم يكمله بما يحتاج إليه من السلطان والجهاد والمال، وسـبيل من أقبل على السطان والمال والحرب، ولـم يقصـد بـذلك اقامـة الـدين - همـا سـبيل المغضـوب عليهـم والضـالين، الاولى للضالين النصارى، والثانية للمغضوب عليهم اليهـود) [28/395].

وقد وقع في هذه الامة - كما ورد في الحديث لتتبعـن سنن من كان قبلكم - نظير ما فـي هـاتين الامـتين (اليهـود والنصارى) فمن حكامنا من يريد السلطان والمال والحرب لاقامة الدنيا غير ملتفـت الـى الـدين، ولا ينصـرالدين الا مـا أشرب من هواه، وخيرهم من لا يكون له غـرض ذاتـي فـي محاربة الدين مالم يخاف ذهـاب شـهواته وحاشـيته فحينئـذ فالدين عندهم أهون مقتول، فهـؤلاء كـاليهود كلمـا جـاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا ففريقا كـذبوا وفريقـا يقتلون.

ومن المنتسبين الى العلم من يريد الدين بلا سلطان ولا جهاد ولا مال يقيمه، كالنصارى الذين يقولون: (دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر)، ويجعلون كل من يتولى أمر المسلمين ولي أمرشرعي لاتجوز منازعته في شيء، سواء من رفع الدين ومن وضعه، حتى عد بعض المجازفين منهم رئيس الجمهورية التركية (سليمان ديمريل) ولي أمر شرعي، واستنكر سعي حزب الرفاه للحصول على المال والسلطان والقوة للسيطرة على الدولة التركية، لانه - كما زعم - خروج على ولي الامر.

ولهذا تجد هؤلاء تشمئز قلوبهم اذا ذكر الجهاد والحكم بما أنزل الله، أو الدعوة الى تغيير الواقع، وتضيق صدروهم بمن يعتني بفضح مكائد أعداء الامة وعملائها للسيطرة على مقدرات القوة عند المسلمين، وربما استعانوا بقوة السلطان لاسكاته، فيصيرون عونا للسلطان على عزل الدين عن الدولة، لموافقة ذلك لما في نفوسهم من مشابهة النصارى من هذه الجهة.

وصارت الامة بسبب خيانة حكامها وانعزال كثير من علماءها أو انحراف كثير منهم، في هذه الحال من الضعف والمهانة، ذلك أن الله تعالى حبس عنها النصر حتى تتخلص من مشابهة هاتين السبيلين؛ (المغضوب عليهم والضالين)، ولهذا قال الله تعالى لموسى وهارون نبيي الاسلام بعد دعائهما بالنصر على الاعداء: (قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذي لا يعلمون).

فشرط النصر الاستقامة على سبيل الهدى، فان الله تعالى لا ينصر الا من ينصر دينه وينصر كتابه المتضمن لهداه (ان تنصروا الله ينصركم).

قال شيخ الاسلام: (والكتاب ؛ هو الحاكم بين الناس شرعا ودينا، وينصر القائم نصرا وقدرا... فان الله نصر الكتاب بأمر من عنده، وانتقم ممن خرج عن حكم الكتاب كما قال؛ "الا تنصروه فقد نصره الله") [28/37].

منبر التوحيد والجهاد

* * *

sw.dehwat.www//:ptth

ofni.hannusla.www//:ptth

moc.adataq-uba.www//:ptth